

## منهج يعنى العيد النقدي في دراسة رواية "السؤال" لغالب هلسا

- قراءة في نقد النقد -

## Yumna Al-Eid's Critical Approach to Ghaleb Halasa's Novel "The Question": A Reading of Criticism of Criticism

نريمان بوشنكير<sup>1</sup>\*<sup>1</sup> جامعة باجي مختار/ عنابة (الجزائر)، [narimene.bouchenkir@univ-annaba.dz](mailto:narimene.bouchenkir@univ-annaba.dz)

مخبر الأدب العام والمقارن.

تاريخ القبول: 2024 / 11 / 14

تاريخ الإرسال: 2024 / 09 / 28

## الملخص:

ظل النقد الأدبي المجال الأكثر استهدافا في الدراسات الأدبية؛ كونه يصرح بالمسكوت عنه في الأعمال الفنية. هذه الأخيرة التي خلفها الفكر والخيال الإنساني، فالفنّ عُدّ ميدانا حيّا ينتج فيه الإنسان أفكاره بخلفيات دينية وساسية واقتصادية وفلسفية وغيرها. هذه الميادين اهتمّ بها النقد وسعى لتفسيرها؛ وعليه تعددت المناهج النقدية المهتمّة بفحص الأدب؛ فمن المناهج السباقية (التاريخية-التفسيّة-الاجتماعية) إلى المناهج التسقيية (البنوية-البنوية الشكلية-البنوية التكوينية-التداولية-السيمائية وغيرها). أمّا دراستنا تتقصّى البحث عن المنهج المتبع في الدراسة النقدية عند يعنى العيد؛ من خلال قراءتها رواية "السؤال" لغالب هلسا. كما يندرج عملنا هذا ضمن إطار نقد النقد وتجدر الإشارة إلى استعانتنا بتقنيات الوصف والتحليل.

## الكلمات المفتاحية:

النقد؛

نقد النقد؛

المنهج النقدي؛

السباق؛

التسقي؛

## ABSTRACT:

## Keywords:

Criticism,  
criticism of  
criticism,  
critical approach,  
context,  
the format,

Literary criticism has remained the most targeted field in literary studies, as it reveals what is unspoken in artistic works, which are shaped by human thought and imagination. Art is considered a dynamic field in which humans express their ideas influenced by religious, political, economic, philosophical, and other backgrounds. Criticism has engaged with these fields and sought to interpret them; as a result, critical approaches examining literature have diversified, ranging from contextual approaches (historical-psychological-social) to systematic approaches (structural-formal structural-structural-generative structural-discursive-semiotic, and others). Our study explores the method used in the critical analysis of Yumna Al-Eid, through her reading of the novel "The Question" by Ghaleb Halasa. Our work also falls within the framework of criticism of criticism, and it is worth noting that we employ descriptive and analytical techniques.

\* نريمان بوشنكير

## مقدمة:

أفرزت المنظومة النقدية الأدبية العديد من المناهج، ورغم استقلالية كلّ منهج إلا أنّها تتعارض فيما بينها، فكانت تتمّة لقصور منهجي سابق عنه، وسعى كل منهج نقدي إلى بناء قاعدة معرفية خاصة بدراسة مختلف الأجناس الأدبية. وقد اعتبرت جل المناهج أنّ الأدب مجرد بناء لساني اصطلاح عليه في علم اللسانيات السوسيرية بالبنية. فكانت العلاقة بين هاته المناهج متداخلة مع بعضها. لذلك عملت مناهج النظرية النقدية الأدبية على تسخير الآليات التي تناسب قراءة الفنون الأدبية، لتتوصّل المناهج الحديثة ذات المنحى الاجتماعي إلى كشف العلاقة التماثلية بين الأدب والمجتمع؛ هذه العلاقة بين العمل الأدبي ومحيطه الاجتماعي علاقة تكاملية إذ يستحيل الفصل بينهما، كيف لا؟ وأنّ المبدع كائن اجتماعي يعيش حياة مجتمعه ويموت بموته فيحمل همّ ومعاونة أفراد عشيرته ويؤسّسهم وشقائهم.

على هذا الأساس حاولنا في بحثنا قراءة مدوّنة يعنى العيد في كتابها النقدي "في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي -" رواية (السؤال) لغالب هلسا، حيث تعودت يعنى العيد التصريح بالمسكوت عنه، فتبعت في كتابها -عموما- مسيرة نشأة المدارس اللسانية مع سوسير وصولا إلى سوسولوجية لوسيان غولدمان، فغلب عليها البحث اللساني بشكل أكبر من البحث الأدبي النقدي. لتتأثر هي الأخرى بعالم الرواية، لنقول إنّ عالم الرواية يمنح للناقد جوا رحبا يجد نفسه حرا فيه، خاصة إذا كان عالم الرواية عالما غير مقيد بنظام الوزن والقافية، فمن اللغة إلى الزمن والفضاء الروائي وصولا إلى إشكالية علاقات شخصها بالعالم الخارجي. فاستبدلت رؤية العالم بأيدولوجيات أبطال الروايات التي تحكمهم. كما أنّ للخطاب الروائي قابلية الخضوع للمناهج النقدية سواء الكلاسيكية منها المنهج التاريخي (الأدب مرآة التاريخ)، والاجتماعي (الأدب مرآة المجتمع)، والنفسي (الأدب مرآة لذات المبدع)؛ هذه المناهج تهتمّ بتأطير الأدب ضمن سياقه الذي أنتجه فتسقط الخارج على الدّاخل، أم المناهج الغربية الحديثة: من الشكلائية الروسية، والبنوية، والتفكيكية، والأسلوبية؛ التي تحصر الدراسة في التحليل الداخلي للنصّ لأنّ جماليته تكمن في عزله عن كلّ ما هو خارج النصّ، وذهبت السيميائية، والتداولية؛ إلى الاعتراف بعلائقية البنية اللغوية والسياقية للأدب ممّا فتح المجال أمام البنى الثقافية القادرة على تقديم تأويلات لبنى نصّية مغلقة للدراسة النقدية الحديثة. أمّا منهج البحث المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي والتحليلي إضافة إلى أسلوب نقد النقد عبر إعادة قراءة نقد يعنى العيد رواية السؤال لغالب هلسا للوقوف على حدود المنهج الذي اتبعته الناقدة في هذه القراءة. ولعلّ هذه التوازح حركت البحث نحو مجموعة من الأسئلة: كيف حاولت يعنى العيد تطويع رواية السؤال وفق ميلها النقدي؟ وهل كانت دراستها متوازية مع معايير المنهج النقدي المتبع في القراءة والوصف والتحليل؟

## 1- منهج يعنى العيد النقدي في قراءة رواية السؤال لغالب هلسا

## توطئة

اهتمّت الناقدة اللبنانية «يعنى العيد» بمحاكاة المناهج النقدية كونها قادرة على قراءة موروثنا العربي، فمن البديهي أن نرى ميلها لاستنطاق هذه المناهج ومدى قدرتها على قراءة النصوص العربية واكتشاف حقائق لم يصرّح

بها مبدعوها، التي قد تكون إما نفسية أو تاريخية أو دينية مبثوثة داخلها. ولعل كتابها النقدي "في معرفة النص - دراسات في النقد الأدبي-"<sup>1</sup> جاء وفق الدراسات الحديثة التي تهتم بتحليل النصوص الأدبية ومعرفة توجهات أصحابها الفكرية، لتعرض فيه معنى العيد جملة من أفكارها النقدية على المستويين النظري والتطبيقي.

### 1-1- دراسة وصفية لمنهج معنى العيد

تأثرت معنى العيد بما كان سائدا في البيئة النقدية العربية الحديثة، كغيرها من النقاد العرب الذين سايروا ما أفرزته المنظومة النقدية الغربية الحديثة؛ حيث استطاعت معنى العيد أن تنتج أفكارا نقدية ترمز إلى الأساس النقدي الذي بنت عليه توجهها، ففي كتابها النقدي (في معرفة النص - دراسات في النقد الأدبي-)، نحاول التركيز على منهج معنى العيد في قراءتها رواية (السؤال) لغالب هلسا. حيث إنها بررت السبيل الذي ستسلكه في تفسير وتحليل الرواية، تقول إن "البنية التي ينهض بها العمل الأدبي هي هنا بنية عالم الرواية المستقل والمتميز في بنيته هذه. ونحن حين نخضع بنية العالم الروائي، لعمل ما، على هذا المستوى من الاستقلال والتميز، لا نلغي، ولا يمكننا أن نلغي، علاقة هذا العالم كعالم متخيل، بعالم الواقع الاجتماعي الذي تتحقق الممارسة الأدبية في حقل الثقافة فيه"<sup>2</sup>، محورت معنى العيد دراسة مدوّنتها حول ربط رواية السؤال بعالمها الاجتماعي، إذ لا يمكننا أن نفصل بينه وبين بنية العالم المتخيل، إن الرواية نسيج متشابك ومنسجم متشكّل من عالَمين اثنين: العالم الفني والاجتماعي، وما يؤكد هذا الرّمع مرجعية الأدب قائمة في ذلك: "الانتماء الأدبي إلى الواقع الاجتماعي، أو نسبته إليه"<sup>3</sup>، ولوسيان غولدمان قد سبق أن اعتبر "العنصر الأساسي في دراسة الإبداع الأدبي يتمثل في كون الأدب والفلسفة هما، على صعيدين مختلفين، تعبير عن رؤية للعالم وفي كون الرؤيات للعالم ليست وقائع شخصية بل وقائع اجتماعية"<sup>4</sup>. فالأدب في النهاية تجسيد لتصورات مرتبطة بواقع مجتمعه يحملها الفرد الواحد ويعبر عنها بصورة الجماعة، وهو زعم يؤكد استراتيجية معنى العيد في قراءة الرواية من خلال تحديد طريقة دراستها كونها ستسلك نهج التحليل السوسولوجي للرواية فهي اللسان الناطق لثقافة وأيديولوجية وطموحات الفئة الاجتماعية التي يخضع لها العمل الروائي. والأدب كذلك مرتبط بواقعه لا يمكن فصله عنه. هذا ما أقرّه المنهج البنيوي التكويني ضمن فكرة التناظر بين عالمي الأدب والمجتمع "فالمهم في هذه الحالة هو أن تناظر العالم الخيالي الذي ترسمه هذه القصة... مع البنية الذهنية لهذه المجموعة البشرية"<sup>5</sup>، يلاحظ أنّ من طبيعة العمل الأدبي التعامل مع النظم الاجتماعية وفق قالب فني أدبي خيالي منسجم مع بنيته ليحرّرها من شبكتها الفنية ويوصلها بعالمها الخارجي مفسّرا إيّاها.

### 1-2- إيجائية الشخصيات الروائية

تعتمد معنى العيد على استقراء مرجعية رمزية الشخصيات التي وظّفها الروائي غالب هلسا في عالم الرواية من أجل التأكيد على مرجعية الأدب المتصلة بواقعه، لذلك فإن شخصيات الرواية التي اعتمد عليها غالب هلسا متعدّدة ومتشعبة، إذ بنت معنى العيد عليهم وواقعهم ومن بينهم نجد:

1- السفاح/القاتل = الاشتراكية

2- مصطفى = شيوعي

3- تفيده = خالة سعاد تحب مصطفى

4- سعاد = المحبوبة من أبناء الشعب المصري

5- مرزوق = زوج تفيده

6- وليد+نوال = نشطاء في الحزب

7- حامد = مجرم مهزب مخدرات

يظهر جلياً أنّ كلّ شخصيّة تعبّر عن فئة معيّنة من فئات المجتمع إذ نجد:

-السّفاح الذي يحمل مبادئ الاشتراكية ويدافع عنها، يأتي مصطفى الذي يعتنق مبادئ الشيوعيّة في تكريس

الهيمنة الاجتماعيّة لها.

-تفيده المرأة المجرمة التي كانت تشارك زوجها حامد في المتاجرة بالمخدرات والحشيش،

-الطفلة سعاد تمثّل الشعب المصري.

-الثنائي نوال ووليد الناشطان في الحزب، يميلان أفكاره ويدافعان عنه.

يبدو أنّ هذه الشخصيات خاضعة لسيطرة اجتماعيّة - إن لم نقل كبح اجتماعي -، فهي عبارة عن نماذج

ترمز لطبقات المجتمع المختلفة. فرؤية الرواية حسب معنى العيد وجهة نظر ملتزمة وموحّدة حول مجموع الواقع. إلّا

أنّ فكر الأشخاص، باستثناءات محدودة، قلّما يكون ملتجماً وموحّداً؛ لأنّ تفكير الأشخاص وطريقة إحساسهم

تخضعان لتأثيرات لا حصر لها، وتتعرّضان لمفعول التكوين الفيزيولوجي بمعناه الواسع، حيث يقتربان دوماً من بعض

للالتهام، إلّا أنّهما لا يدركانه إلّا في حالات استثنائية، وعليه قد نجد مسيحيين وماركسيين، ورومانسيين يحبّون

تراجيديات راسين، وديمقراطيين لهم أحكام مسبقة عنصرية وغيرها فليس هناك فلسفة حقيقيّة أو فنّ يكون في نفس

الآن مسيحياً أو كلاسيكياً ورومانسياً أو إنسانياً وعنصرياً ولكن قد يعترض البعض عن هذه الأفكار غير أنّ الرؤية

للعالم تصبح كيانا ميتافيزيقياً... إنّها نسق فكري يفرض نفسه على زمرة من الناس مختلفة الأوضاع أيّ على بعض

الطبقات الاجتماعيّة<sup>6</sup>.

إنّ ما توصلت إليه معنى العيد من تحليل أولي للشخصيات ما هو إلّا محاولة في فهم الرؤية انطلاقاً من

الشخصيات التي كانت أهمّ سلاح ناطق باسم مجتمعها وظروفه المختلفة؛ لأنّ في "مقدرة الشخصيات الأدبيّة على

التعبير عن نظرتها إلى العالم فكراً تولّف جزءاً ضرورياً وهاماً من الترجمة الفنيّة للواقع"<sup>7</sup>؛ وعليه يمكننا القول إنّ الرؤية

تحاكي واقع المجتمع المصري في فترة من الفترات؛ باعتباره مجتمعا متردياً ومتخلّفاً وخاضعاً لتكتّل حزبي معيّن، لتغدو

رواية السّؤال روايةً بوليسيّة كابوسيّة تتداخل فيها الأحداث فتتشابك حتّى تقدّم صورة لمشكلة ما.

نجد السّفاح الذي يعتبر في الحقيقة القاتل الذي لا يؤمن بإنسانيّة البشر، غائب الشّخصيّة خالي المشاعر

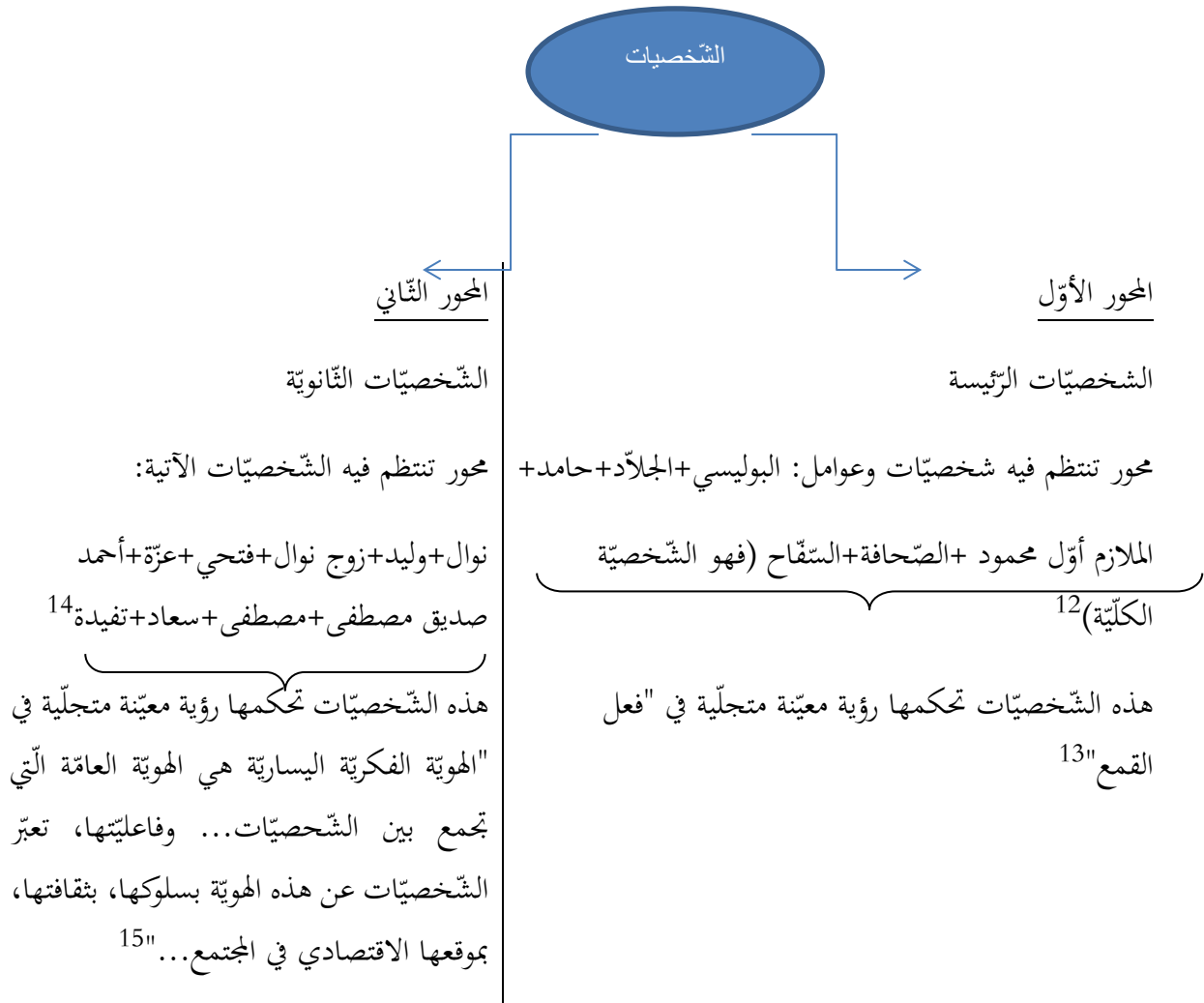
مهمته قتل وسفك الأشخاص المنحلّين أخلاقياً لأنّه يعتقد بقتلهم هذا يعدّ «مصلح الشعب»، غير أنّ قراءة معنى

العيد لهذه الشّخصيّة كان باسترداد الذاكرة إلى التاريخ والإتيان بمعنى هذا الاسم، فوجدت أنّه "لقب به الخليفة

العبّاسي الأوّل أبو جعفر المنصور كصاحب سلطة يهدر دم الناس من أبناء شعبه"<sup>8</sup>، لو نمائل هذه الرؤية نجد أنّ أبا

جعفر المنصور قد عاد مرة أخرى بثوبٍ آخر، ولكن بنفس الغاية والهدف المنشود. من هنا نستنتج عدم إلغاء معنى العيد لعنصر التاريخ في تفسير بعض الظواهر الأدبية بقدر ما يكون خادماً لها؛ لأنه يملك مفاتيح تشابكها كما يملك مفاتيح حلها. "إنَّ جمالية توظيف الرواية للتاريخ لا تكمن في أسلوب الروائي والخصائص الفنية للرواية وكذا سرد الوقائع فقط، وإنما تكمن أيضاً في إظهار وكشف الجانب الخفي المسكوت عنه، وإعادة إضاءته"<sup>9</sup>؛ فالتاريخ شكّل مادة رئيسة لدى الروائيين، حيث ساعدهم في كتابة رواياتهم، ومعالجة مختلف القضايا، بناء على ما قدمه لهم التاريخ من أحداث ومواقف وسلوكات وظواهر مختلفة<sup>10</sup>. ونظراً لأهمية التاريخ في المنظومة الروائية كونه استطاع أن يمدّ الروائيين بمادة حكائية<sup>11</sup> لذلك نجد معنى العيد تستحضر التاريخ أثناء العملية النقدية في قراءة رواية السؤال؛ وهو منحى لوسيان غولدمان حينما فسّر رؤى التشاؤم التي غلبت على روايته التي درسها، وفسر انتماء راسين وباسكال للطبقة الجانسينية هو السبب في ذلك، بحيث كان للتاريخ دور فيه.

إنَّ بحث معنى العيد عن رؤى العالم داخل هذه الرواية امتدَّ بتفريد شخصيات الرواية إلى محورين اثنين هما:



يتبين أنّ الرّؤى المستنتجة أخذت من الواقع الاجتماعيّ والثّقافيّ والفكريّ الذي أسّس بأن تتفاعل فيما بينها، وكما تحاول أيضاً إثبات توجّهها السياسي الذي يتضارب أحياناً أخرى مع توجّهات الطبقة الأخرى من الشخصيات

إلى أن أدرجتها بمعنى العيد كبنية دالة تحكمهم وتجعلهم في خضوع تام لها. هكذا عبّرت شخصيات الرواية عن رؤاها في دفاعها عن أهدافهم التي تجمعهم. يمكن اعتبار هذه الخاصية في التحليل التي اهتمت بها معنى العيد رغبة في استنطاق شخصيات الرواية وجعلهم بمثابة بُنى تُحِيل على واقع اجتماعي معين غلب على تفكيرهم فترة من الفترات من جهة، وفي إثبات أن لرمزية الشخصيات بنية دالة يتكشّف عنها المنهج البنوي التكويني بواسطة أدواته الإجرائية من تفكيك بنية العمل الأدبي وفقاً لواقعه الذي أنتجه من جهة أخرى.

فسرت معنى العيد عجز البطل مصطفى في عدم خلق فضاء له داخل الرواية وفي عدم قدرته على «التحرّر» كونه وقع أسيراً لسلطوية نظامه الذي ينتمي إليه، بالتالي فهو أسير في عدم تحقيق أهدافه (حلمه)، لتقدّم معنى العيد هذا العجز في وقوعه "تحت سلطوية الزمن الماضي وتحت سلطوية الأب وتحت سلطوية النظام السياسي أيام عبد الناصر في مصر. سلطوية الماضي المريحة وسلطوية الأب الجميلة تعبّران عن وعي ماضوي أو عن فكر مسكون بهذه الماضوية. هذا الفكر هو فكر إنسان عربي ليس ماركسياً شيوعياً إلا بقدر ما تعني الماركسية الشيوعية تكرار المقولات. هل يطرح غالب هلسا، في هذا الذي تقوله روايته، مشكلة المثقف الماركسي الشيوعي العربي؟ ربما. وربما كان يذهب أبعد من ذلك؛ ربما كان يتجاوز المثقف إلى التنظيم السياسي الماركسي الشيوعي نفسه"<sup>16</sup>. إن التفسير الذي قدّمته معنى العيد منطقي خاصة حينما جسدت مصطفى في ثوب الإنسان العربي الواقع في تناقضات فكرية ناتجة عن استلاب الروح العربية وجعلها أسيرة للفكر العربي بكل ما ينتجه من آراء وأنظمة. والرواية في حقيقتها تعبّر عن "تغيير اجتماعي وانفجار معرفي حقيقي... لا تسود كجليس أدبي للمبدعين فحسب، بل أصبحت ناد يجتذب أصحاب الفكر والسياسة... لقد أصبحت الرواية أقدر أشكال الكتابة على التعبير عن تناقضات حياتنا المعاصرة وهي تعتمد على الجدل القائم بين شخصياتنا من خلال الحوار والوصف والسرد، وتبرز من خلال ذلك قدرتها على تكوين شبكة متداخلة الخطوط مليئة بالدلالات والمعاني والقيم"<sup>17</sup>. هذا الواقع بنت عليه معنى العيد عالم الرواية من خلال شخصياتها. لتخلص إلى:

"- أن السلطة السياسية في مصر، وفي الفترة التاريخية التي تشير إليها الرواية هي سلطة قمعية هدمية...

- السّاق كرمز يدخل الرواية بصيغة المعرفة.

- مصطفى المقدم كنموذج للشيوعيين في مصر.

- الشيوعيين في مصر كأصحاب فكر برجوازي صغير... يعبر هذا الوعي، أو هذا الشكل من الوعي، عن موقف إيديولوجي من الصراع الاجتماعي في مصر"<sup>18</sup>، عدت هذه الاستنتاجات بُنى دالة عن رؤية للعالم المصري الذي أصبح عالمًا خياليًا في رواية "السؤال" وحاولت يُنى العيد بواسطة أدوات وإجراءات المنهج السوسيوبنائي البحث عن واقع مجتمعه داخل عمل أدبي. فأفرزت لرواية "السؤال" عالمًا يقرره انتقادات شخصياتها إلى طوائفهم وأحزابهم التي تختلف من شخص إلى آخر ليكون صراعاً طبقياً داخل المجتمع العربي الواحد.

### 1-3- موقع القارئ في الرواية

حاولت يُعنى العيد في قراءتها أن توسع دراستها فمن رمزية بناء الشخصيات انتقلت إلى البحث في نفسية القارئ، إذ حصرت ذلك التأثير في كلمة "السفاح" باعتبارها رمزاً من رموز «التشويق البوليسي» المؤثر داخل الرواية. فراحت تبحث عن السفاح؟ بقولها: "إنّ تغييب هوية السفاح في فعله وإقامة السؤال إيهاماً حول شخصه كفرد قاتل هو أمر يخضع لمنطق القدرة على رؤية السفاح على مستواه الاجتماعي وفي علاقة الآخرين به، أي على مستواه الأعمّ المتجاوز لكونه فرداً. هؤلاء الآخرين، الذين يكشفون في علاقتهم به، مستواه الاجتماعي"<sup>19</sup> نجدها تربط مهام السفاح بطبقته التي ينتمي إليها، كفرد من أفراد تلك الجماعة التي تقوم بالأفعال الإجرامية من قتل وسفك الدماء وإباحة دم البشر. ما يلاحظ أنّ السفاح في هذه الرواية "ليس هو الفرد بل هو السلطة"<sup>20</sup>، يتضح أنّ دور السفاح في هذه الرواية هو السلطة بقدر ما يكون عنصراً من عناصر الأمن، وهنا تتغيّر وظيفته من القتل إلى الإصلاح كما أنّه يتمثل في السلطة الرابعة - أي الصحافة - لذلك أصبحت مهمته نقل الأخبار، إنّ رجل متعدّد الوظائف الاجتماعية فمهمته متشابكة تختلف باختلاف وظائفه التي يتقمصها في المجتمع. إنّها رؤية للعالم خلصت إليها يُعنى العيد داخل الرواية التي تعبّر عن أحوال المجتمع المصري فهي سلطة تطلق لعبة الجنس لتأخذ السياسة منحى لها، وهذا يعدّ فعلٌ سلطوي قمعي اعتمده النظام السياسي في جمهورية مصر آنذاك. إنّ رمزية اسم السفاح من أهم العناصر وأكثرها تأثيراً على نفسية المتلقي. هذا ما منح لِيُعنى العيد الاختلاف في تطبيق المنهج السوسيوبنائي حيث أضافت على منهجية البحث فيه مدى تأثير شخصية السفاح على المتلقي التي باتت محطة كبرى داخل الرواية.

### 1-4- لعبة عالم الجنس في الرواية

ركّز الروائي غالب هلسا في روايته على لعبة الجنس أو الحب وجعلها محورا أساسا في تشكّل أحداث الرواية فهي بمثابة بنية دالة للعمل الروائي -عموما-، ممّا استدعى استقراء يمني العيد لها، فعمدت على تحليل هذه اللعبة من خلال عملية التفسير إذ لم تعزل النصّ عن سياقه المادي المسهم في بناء العالم المتخيّل. وعالم الجنس ليس غريزة يُمارسها الإنسان إنّما تتمثل في عالم القمع والاستبداد السياسي؛ تقول "ليس الجنسي مشكلّة في ذاته، بل هو مشكلّة تحرّرت طول شبيهاً آخر سواه. وهو... بهذا المعنى ليس أخلاقياً، أي ليس هو المكبوت الذي يسعى إلى أن يكون فعلاً ممارساً، ويعبّر في ممارسته عن صراع نفسي أخلاقي بين ما هو في اللاوعي حاجة مكبوتة، وبين ما هو في الوعي مكبوت حاضر، بل إنّ الجنس هنا هو حضور فعليّ لسياسي مضموع. إنّ فعل الحب والتواصل مقابل فعل الحقد والانزعال. فعل التحرّر مقابل فعل القمع. وفعل الحياة مقابل فعل الموت"<sup>21</sup>؛ إنّ تفسير يمني العيد لرمز الجنس داخل عالم الرواية نعتبه تبريراً اجتماعياً موجوداً ينقل رؤيتها السوسولوجية في تحليل الرواية خاصّة إذا تعلّق الأمر بمحيط الرواية وعالمها الداخلي حيث تستخرج يمني العيد من النصّ البني التي خضعت لظروف إنتاج هذا النصّ. والحقيقة أنّ العلاقة بين الإبداع والمجتمع علاقة وطيدة وُجدت منذ أن "بدأ الإنسان يعبّر عن أفكاره بصورة تخيلية"<sup>22</sup>؛ فمن المتخيّل إلى الواقعي يتولّد نصّ أدبيّ محمّل بشحنات أصحابه الذين يخضعون لثقافة وسياسة وأيديولوجية طبقاتهم الاجتماعية. نتيجة لذلك بحثنا عن القصد الحقيقي من استعمال الجنس وما علاقته بالسياسة؟

عندما نقدّم تبريراً لهذا الطّرح نعتمد على ما جاءت به معنى العيد في ذلك؛ تقول: "يبدو لنا أنّ اللّغة الجنسيّة... ليست مجرد استعارة، بل هي لغة أشخاص عالم الرواية، يعبرون بها عن حاجاتهم ورغباتهم ومشاكلهم التي هي في توجّهها الأهم في الرواية"<sup>23</sup> إنّ ممارسة الجنس تعبير عن رغبة معيّنة لدى شخصيّات الرواية المتجسّدة في التّخفيف عن مشاكلهم اليوميّة التي يعانون منها؛ وهذا معادل موضوعي يخضع له التّحليل النّفسي الفرويديّ في تفسير بعض الظواهر الأدبيّة، لكن في ممارسة هذا الفعل يجعلهم خاضعين لسياسة قمعيّة ما؛ لأنّ بين ما هو سياسيّ وجنسيّ تنشأ علاقة، وعليه "إنّ السياسيّ الذي تتناوله رواية "السؤال" هو، كما سنرى، تجربة نظام الحكم النّاصريّ في بداية الستينيّات، والتي هي تجربة لا تزال تتسم بطراحتها التاريخيّة، ويشعر العديد من أبناء الوطن العربيّ بعاقمة، ومن المثقّفين بخاصّة، بضرورة عدم التّصدّي المفصوح لنقدها، وبضرورة التّشديد على جوانبها الإيجابيّة وعلى وضعها في سياقها التّاريخي..."<sup>24</sup>، بذلك يمكننا القول إنّ ممارسة فعل الجنس هو ذلك المستوى السّطحيّ غير المقصود في الرواية بينما المستور عنه فعل السياسة. ولعبة الجنس المستخدمة داخل رواية "السؤال" تعبير عنه، نتيجة لذلك فإنّ نجاح تلك اللّعبة يعني نجاح الفعل السياسيّ وفشلها يعني فشله. كما نلاحظ أنّ ثنائيّة الجنس والسياسة من أكثر اللّعب الروائيّة جراءة؛ ذلك بحكم تقاليد المجتمع التي أضحت تحاربها.

### 1-5- بنينا الزّمان والمكان في عالم الرواية

تحدّثتُ يُمنى العيد عن فترة حكم جمال عبد النّاصر، فاستحضرت التّاريخ والمجتمع في دراستها قصد تقديم تفسيرات لبعض الزّوايا غير المصرّح بها والموجودة في الرواية مع حلّ ما أشكل منها، هذا الطّرح دعا إليه لوسيان غولدمان حين بيّن أهميّة الفرد والتّاريخ عند قراءة وتفسير بعض الأعمال الأدبيّة. بالتّالي كان من البديهيّ أن تجلب يُمنى العيد محيط تشكّل الرواية وعدم المثل أمام البنية النّصيّة، ممّا يبيّن أنّ يُمنى العيد على يقين بضرورة انفتاح البنية النّصيّة على المجتمع؛ فجماليّة قراءة الروايات العربيّة تتجسّد في الإحالة إلى واقعية الرواية لمرجعها الذي أنتجها. لتحتفظ معنى العيد في هذه الدّراسة لروحها العربيّة حيث نجدها مهتمّة بقراءة دور البنية الزّمنيّة والمكانيّة لها لتدرس دلالة هذين الرّكنين وفقاً لرؤية سوسولوجيّة. فمن خلال الزّمن يمكننا أن نكشف عن انفعالات الشّخوص ومواقفها ومن ثمّ نستطيع التّعرف على فاعلية الزّمن في الأعمال الأدبيّة<sup>25</sup>؛ حيث فسّرت معنى العيد زمن الرواية بزمن «النّظام السياسيّ»، زمن جمال عبد النّاصر في حكمه لمصر. وعليه كان لجوء يُمنى العيد للزّمن حتّى تضيّ على دراستها بعدا دلالياً آخر تمثّل في عدم إقصاء ركن الزّمن من الدّراسة التقديّة كون الزّمن من عناصر تشكّل البنية السّردية وفي قدرته على "التّمرکز وفق رؤية الكاتب المستمدّة من طروحات نظرية تنهل من خصوصية الخطاب السّردية الذي جعل الزّمن إحدى بيانات فن الرواية"<sup>26</sup>.

أمّا المكان فهو المجال الجغرافي لبحث مصطفى عن سعاد؛ لأنّ "المكان هو، في الرواية، إطار جغرافيّ ضيق يحاصر مصطفى، يحدّد مجال حركته ومن ثمّ يحدّد فضاء زمانه. لا يغادر مصطفى منزله. سعاد هي التي تأتي إليه. حين يخرج مصطفى، في الفصول الأولى من الرواية، يخرج فقط بحثاً عن سعاد، عن الحبّ،... لتمنحه القوّة. وهو إذ يخرج إلى سعاد إنّما يخرج ليدعوها إليه، ليعود إلى حصاره فيبقى فيه"<sup>27</sup>. ركّزت يُمنى العيد على الفضاء الروائيّ لأنّه



مرتبط بحياة الإنسان فهو وسيلة للتقريب بين أفراد المجتمع؛ فهو "العالم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية فالمقهى أو المنزل أو الساحة كل منها يعتبر مكانا محددا"<sup>28</sup>.

### خاتمة

إنّ المدوّنة النقديّة المعتمدة في هذا البحث، حاولنا فيها تحديد المنهج النقدي الذي اتّبعتة معنى العيد في قراءتها لرواية السؤال، حيث أحالتنا على جملة من الاستنتاجات، أهمّها:

▪ تنوّع ثقافة معنى العيد وعدم انغلاقها في قراءة تاريخ النقد العربي، بل حاولت الإلمام بكل ما توصل إليه الفكر الغربي من اجتهادات أسهمت في إعادة قراءة الفنّ بصورة جديدة، فقبلته مع الإبقاء على مميّزات الخطابات الأدبيّة العربيّة.

▪ أبان فكر معنى العيد النظري وإجراؤها التطبيقي شغفها في مقارنة النصوص العربيّة القديمة والحديثة وفق الرؤية السوسيوولوجيّة للأدب، كونها الإجراء النقدي الذي ينظر للأدب من زاوية علاقته بالمجتمع ممّا يفسّر الأدب بمنظور علاقته بواقعه، فجماليّته تكمن في انفتاح الدراسة على محيطها الاجتماعيّ الذي ولّدها وجعلها بنية كاملة ومتلاحمة، إذ لا يمكننا الزعم بتجنّب تأثير الظروف الاجتماعيّة على بنية الخطاب الأدبي.

### قائمة المراجع:

- 1 السعيد بن كراد. (1994). مدخل إلى السيميائيات السردية (الإصدار د.ط). مراكش، المغرب: دار تينمل للطباعة والنشر والتوزيع.
- 2 جمال شحيد. (1983). في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان) (الإصدار ط1). بيروت: دار ابن رشد للطباعة والنشر.
- 3 جورج لوكاتش ترجمة نايف بلوز. (1985). دراسات في الواقعية (الإصدار ط3). بيروت: المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.
- 4 سعود فطيمة. (2013). المنظور السوسيوولوجي للرواية العربية. مجلّة مقاربات (العدد1).
- 5 شريط سنوسي. (2024). حضور تيمة التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في نماذج روائية. مجلّة أفانين الخطاب (العدد1).
- 6 لعياضي أحمد. (أكتوبر، 2020). التاريخ وجماليات الرواية العربية الجديدة رواية "إيزيس كوبيا" لواسيني الأعرج أمودجا. مجلّة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية.
- 7 لوسيان غولدمان ترجمة محمّد برادة. (1985). المادية الجدلية وتاريخ الأدب (الإصدار ط1). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربي.
- 8 منتظري، آزاده، محمّد خاقاني، منصوره زرد كوب. (1391ش). التقد الاجتماعي للأدب ونشاته وتطوره. فصلية محكمة (العدد6).

9 مهما حسن القصرأوي. (2004). *الزمن في الرواية العربية* (الإصدار ط1). الأردن: دار فارس للنشر والتوزيع.

10 هيام شعبان. (2004). *السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله* (الإصدار د.ط). الأردن: دار الكندي.

11 يمنى العيد. (1999). *في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي* - (الإصدار ط4). بيروت: دار الآداب.

### الهوامش والإحالات:

<sup>1</sup> في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي - /القسم الأول: «عن البنيوية وعن الواقعية»/الفصل الأول: «المنشأ اللساني للبنيوية تعريف نظرحه على مسارنا النقدي»، ضمن هذا الفصل نجد الناقدة مئى العيد وكغيرها من النقاد العرب قد عرضت فيه الإرهاصات الأولى لنشأة البنيوية بشكل عام. الفصل الثاني: «الواقعية - سؤال في معرفة النصّ»، قدّمت الناقدة ضمن هذا الفصل، رؤيتها الواقعية للأدب، عارضة في ذلك حججها. الفصل الثالث: «المنشأ اللساني للبنيوية تعريف نظرحه على مسارنا النقدي»، و فيه أشارت الناقدة إلى الخلفيات اللسانية للمدرسة البنيوية من آراء دوسوسير وغيرهم. القسم الثاني: «المسألة التقديّة والمسألة الشعريّة»/الفصل الأول: «خطوط عريضة في البحث عن هويّة القصيدة العربية الحديثة»، حاولت الناقد مئى العيد ضمن هذا الفصل أن تقوم بعملية الإسقاط لجلّ المفاهيم التي عرضتها في قسمها الأول من الكتاب، فأخذت القصيدة العربية الحديثة نموذجاً لذلك؛ إذ بدأت بعملية التأريخ للقصيدة العربية الحديثة من نازك الملائكة وصولاً إلى بدر شاكر السياب... وغيرهم باحثّة في ذلك عن مفهوم النظام في شعرنا العربي. كما أنّها حاولت أن تجد علاقة بين الخطاب الشعري والواقع. الفصل الثاني: «في النقد البنيويّ وفي البنيوية التكوينيّة، الجدليّة عند محمد بنيس»، حاولت أن تقدّم حصيلة معيّنّة لتلقّي نقادنا العرب للنقد البنيويّ و البنيويّ التكويني، مبدية في ذلك رأيها الخاص بما. بل وأشارت إلى نقطة مهمّة والمتمثّلة في المشاكل التي يواجهها الناقد العربي أثناء نقله لأفكار منهج نقدي ما وفي تطبيقه على نصوص عربيّة خالصة.

<sup>2</sup> مئى العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي - . دار الآداب، بيروت، 1999م، ط 4. ص 191.

<sup>3</sup> مئى العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي. ص 53

<sup>4</sup> لوسيان غولدمان: المادّية الجدليّة و تاريخ الأدب. ترجمة: محمد بزّادة، مؤسّسة الأبحاث العربية، بيروت، 1985، ط 1. ص 14.

<sup>5</sup> جمال شحيد: في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان). دار ابن رشد للطباعة و النشر، 1983، بيروت، ط 1، ص 3.

<sup>6</sup> لوسيان غولدمان: المادّية الجدلية و تاريخ الأدب. ترجمة: محمد بزّادة. ص ص 14 15 .

<sup>7</sup> جورج لوكاتش دراسات في الواقعية: ترجمة: نايف بلوز. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1985م، ط 3، ص 25.

<sup>8</sup> مئى العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي - . ص 200.

<sup>9</sup> لعياضي أحمد: التاريخ وجماليات الرواية العربية الجديدة رواية "إيزيس كويبا" لواسيني الأعرج أمّودجا. مجلّة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. مصر، عدد خاص، أكتوبر 2020، ص 1125.

<sup>10</sup> شريط سنوسي: حضور تيمة التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في نماذج روائية. مجلّة أفانين الخطاب، الشلف/الجزائر، المجلّد 4، العدد 1، 2024، ص 52.

<sup>11</sup> ينظر المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

<sup>12</sup> ينظر: مئى العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي - . ص 201.

<sup>13</sup> ينظر: المرجع نفسه. ص 202.

<sup>14</sup> ينظر: المرجع نفسه. الصّفحة نفسها.

<sup>15</sup> المرجع نفسه. الصّفحة نفسها.

<sup>16</sup> المرجع نفسه. ص ص 219 220.

<sup>17</sup> سعود فطيمة: المنظور السّيسولوجي للرواية العربية. مجلّة مقاربات، الخلفة/الجزائر، المجلّد 1، العدد 1، 2013، ص 121.

<sup>18</sup> مئى العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي - . ص ص 230 231.

<sup>19</sup> المرجع نفسه. ص ص 205 206.

<sup>20</sup> المرجع نفسه. ص 206.

- 21 المرجع نفسه. ص 193.
- 22 منتظري، آزاده، محمد خاقاني، منصوره زردكوب. النقد الاجتماعي للأدب ونشأته وتطوره. فصلية محكمة. 1391 ش، السنة 2، العدد 6، ص 156. نقلا عن: نعيم عموري وزهرا سياحي حسيني. دراسة سوسولوجية في رواية "حببتي بكما" لمحمد السالم. مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة/الجزائر، المجلد 17، العدد 1، 2021، ص 118.
- 23 يحن العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي -. ص 195
- 24 المرجع نفسه. ص 194
- 25 ينظر هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله. دار الكندي. الأردن، 2004، د.ط، ص 300.
- 26 مهما حسن القصراري: الزمن في الرواية العربية. دار فارس للنشر والتوزيع. الأردن، 2004، ط 1، ص 48.
- 27 يحن العيد: في معرفة النصّ - دراسات في النقد الأدبي -. ص 218.
- 28 السعيد بن كراد: مدخل إلى السيميائيات السردية. دار تينمل للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 1994، د.ط، ص 87.